



تركيبة التنفس

خطبة ألقاها

الشيخ زو سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢١ جمادى الآخرة في الكويت

[الخطبة الأولى]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن ربكم سبحانه قد قال قولاً كريماً، وأقسم قسماً عظيماً، وإذا أقسم ربنا العظيم بشيء فذلك يدل على عظم ما فيه، حيث قال ربنا ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فأقسم الله ﷻ بالنفس التي هي الإنسان، وبتسويتها، فالله ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم وسواه، فحقاً: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

سبحان الله! سبحان الله! أيها الإنسان ما أجهلك! حيث تعصي الله وهو الذي خلقك! فما الذي خدعك في ربك الكريم الذي أنعم عليك بكل النعم؟ ما الذي خدعك في ربك حتى فسقت عن أمره، وتجاوزت حدوده؟

أثماوناً منك في حقوقه؟ أم احتقاراً منك لعذابه؟ أم عدم إيمانٍ منك بلقائه وجزائه؟ أم هي قسوة في قلبك قادتكَ لعصيان ربك؟ أم هي شهوة في بطنك أو فرجك جعلتك لا تستحيي من ربك؟ أم أن هواك أضلك وأعماك، وأخرجك من طاعة مولاك فأبعدك وأشقاك؟

ألم يكن لك في نفسك آية، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]؟ ألا تعلم أن الله هو الذي خلقك، فسواك في أحسن تسوية، وركبك تركيباً قويمًا معتدلاً في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، وركبك في أحسن صورة، بلطفه بك، وإحسانه إليك؟ وكان قادراً سبحانه على أن يجعلك على غير تلك الصورة الحسنة، وعلى غير ذلك التركيب البديع، وعلى عدم إعطائك العافية والقوة، إلا أنه سبحانه بلطفه وكرمه خلقك في أحسن تقويم، وأعطاك القوة والعافية.

ألا فتذكر يا عبد الله -ألا فتذكر يا عبد الله-، وأفق من غفلتك، والذكرى تنفع المؤمنين، واعلم أن ربك الذي أنعم عليك بتلك النعم العظمى لم يخلقك عبثاً، ولم يتركك هملًا، بل كلّفك، وأهملك، وعلمك فجور نفسك وظلمها وفسقتها، لتحذر منه وتبتعد عنه، وأهملك وعلمك تقوى نفسك وطاعتها، لتكون من أهلها المحافظين عليها، فبعث لك برحمته الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهداك النجدين -طريق الخير وطريق الشر-، وركب فيك ما تُدرك به ذلك، وتفهم به ما تُخاطب به، كما قال سبحانه: ﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: ٨]، وكما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۙ﴾ [الشمس: ٨] ولساناً وشفتين ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البعد: ٨-١٠]، وأمرك -رحمك الله- بلزوم التقوى، وجعل في ذلك فلاحك، ونهاك عن الفجور، وبيّن لك أن في ذلك خسرانك.

فكل نفس -يا عباد الله- في الدنيا عاملة متحرّكة، وليس هناك وقوف، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، فنفسٌ ساعيةٌ في تزكية نفسها لتكون من المفلحين في الآخرة والأولى، ونفسٌ متبعةٌ لشهواتها وأهوائها لتكون من الخائبين الخاسرين في الآخرة والأولى، كما قال ربنا سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۙ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۙ﴾ [الشمس: ٩-١٠].

فأفلح -وربّ الكعبة- من زكّى نفسه بالتوحيد، وبالطاعة، والصبر عليها، والبعد عن المعصية، والصبر عنها، وخاب وخسر من أخفاها وأخفى خيرها بالظلم، والبعد عن الطاعة، والإكثار من المعصية.

واعلم رعاك الله - واعلم رعاك الله - أن من جاهد نفسه في الدنيا وزكّاها، وصبر على ذلك، وأطرها على الخير أطراً، ونهاها عن الهوى، كان له الفوز يوم القيامة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٥-٧٦]، ونعم الجزاء ذلك - يا عباد الله!

فاحرص - يا عبد الله - احرص جاهداً على تزكيتك لنفسك، واعلم أنه لن تتزكى نفسٌ حق التزكية إلا بمحبة كتاب الله، وكثرة تلاوته وتدبره، فتدبر القرآن مفتاح القلوب، كما قال ربنا سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

والقرآن - يا عباد الله - يهدي لكل خير وأحسنه، وأكمّله وأفضله، كما قال ربنا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

فيا عبد الله، يا من تريد أن تكون من أهل التزكية، إياك أن تحرم نفسك قراءة القرآن، وتدبر القرآن، اجعل لك من يومك نصيباً تقرأ فيه من كتاب الله ﷻ، واحذر - رعاك الله - أن يمرّ عليك يوم لا تتلذذ بقراءة كلام الله ﷻ.

واعلم - رعاك الله - أنه لن تتزكى نفسٌ إلا بمحبة النبي ﷺ، وتحقيق أتباعه، وكلما عظم اتباع المسلم لنبيه ﷺ ولزومه لسنّته، كلما ترقّت نفسه بالتزكية، كما قال ربنا سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْل لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فنبينا وحبينا وفرّة أعيننا ﷺ بعثه الله لنا ليزكينا، فيطهرنا من الشرك بالله وعبادة الأوثان، وينمي خيرنا بكثرة طاعتنا لربنا، ويطهرنا من رذائل الأخلاق، ودنس الجاهلية، ولن نكون أزكيا طهرة إلا بتحقيق أتباعه ﷺ، فأتبع أحيي - رعاك الله -، أتبع هُداة، والزّم خطاه، إن أردت أن تدخل في قول ربك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩].

واحرص - رعاك الله - على كثرة سؤال الله في دعائك أن يزكّي نفسك، فوالله لو لا الله ما زكا أحد، والله لو لا الله ما وحدنا، والله لو لا الله ما صلينا، ولا صُمننا ولا زكينا، ولا تزكّي منا أحد! كما قال ربنا ﷻ: ﴿يَنَاقِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ

بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور: ٢١].

ولذا -يا عباد الله- كان أشرف خلق الله، وسيد ولد آدم، وخير من عبد الله ﷺ يسأل الله أن يزكي نفسه، فكان يقول في دعائه: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»، فكان نبينا ﷺ يُكثر من سؤال الله أن يزكي نفسه.

ألا فاتقوا الله -عباد الله-، واحرصوا على تزكية أنفسكم، فإن الدنيا مهما طالت فهي قليلة، ومهما زادت مُتْعُها فهي زائلة، والمصير إلى الله ﷻ، وما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشقّ تمرّة.

فاتقوا الله عباد الله، واحرصوا على تزكية أنفسكم، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

إن فلاح النفس وتزكيتها في الإكثار من طاعة الله، والبُعد عن معاصيه، وبِحفظ الجوارح عمّا حرم الله، وبأن يكون العبد قريباً من ربه، فيتقي الله حيثما كان، وإذا زلّت القدم، ووقع في المعصية، سارع بالندم، وكان أو اباً رجاعاً إلى الله عز وجل، كما قال ربنا ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١].

فالعبد الذي زكَّى نفسه - يا عباد الله - هو الذي يحرص على أداء حقوق الله، وعلى أداء حقوق خلق الله، وعلى حسن معاملة عباد الله بحسن الخلق، فأولئك هم المفلحون، وأولئك هم الذين قد زكَّوا أنفسهم.

فألزموا أنفسكم - عباد الله - تقواها، ولا تتبعوا هواها، فإن النفس أمارَةٌ بالسوء، واحرصوا على أن تجاهدوا أنفسكم، حتى تكون مطمئنة، فيكون مآلها عند موتها أنها ترجع إلى ربها مطمئنةً راضيةً مرضيةً.

فاتقوا الله - عباد الله -، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، والزموا الطاعة، وابتعدوا عن المعصية، وكونوا من التوَّابين، الخائفين الله ﷻ، الراجين ما عنده، لعلكم تفلحون.

ثم اعلّموا أن الله ﷻ أمرنا بأمر عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صَلَّى اللهُ عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

فاللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنا معهم بمَنِّكَ وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهم اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين، ونعوذ بك أن تُردَّ علينا أعمالنا يا رب العالمين، ونعوذ بك أن تُردَّ علينا أعمالنا يا رب العالمين، ونعوذ بك أن تُردَّ علينا أعمالنا يا رب العالمين.

اللهم أنت أعلم بنا من أنفسنا، فما علمتنا عليه من خيرٍ فثبِّتنا عليه، وزدنا من الخير يا رب العالمين، وما علمته فينا من سوءٍ اللهم فكِّرْهُنا فيه، وأبعدنا عنه، وارزقنا توبةً منه يا رب العالمين، وتقبَّلها منا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، إنا عباد من عبادك، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، وأمنّا من عذابك أجمعين.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولأهلينا ولجيراننا ولأحبابنا يا رب العالمين.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرةً من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ إنا نعوذ بك من عذاب القبر، وعذاب النار، وفتنة الحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذه الفريضة إخواناً متجاورين، أن تجمعنا ووالدينا وأهلينا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، إخواناً على سرر متقابلين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ لا تجعلنا نفقد أحداً من أحببنا في الجنة، اللهمّ لا تجعلنا نفقد أحداً من أحببنا في الجنة، اللهمّ لا تجعلنا نفقد أحداً من أحببنا في الجنة، ونعوذ بك يا ربنا أن نكون مفقودين في الجنة، ونعوذ بك يا ربنا أن نكون مفقودين في الجنة.

اللهمّ يا ربنا أنت المنعم، فزدنا نعيماً وإنعاماً يا رب العالمين، وثبّت علينا نعمك، وزدنا منها يا رب العالمين، واجعلنا شاكرين لها يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في كل نعمة أنعمت بها علينا يا رب العالمين، اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في أعمالنا، وبارك لنا في عافينا، وبارك لنا في أهلنا وذرياتنا، وبارك لنا في بلادنا، اللهمّ بارك لنا في بلادنا.

اللهمّ احفظ أمير البلاد يا رب العالمين، اللهمّ احفظ أمير البلاد يا رب العالمين، اللهمّ زده خيراً وحكمةً، اللهمّ املاً قلوب الرعية حباً له، واملاً قلبه حباً للرعية، واجعله خيراً وبركةً على أهل البلاد، من أهلها، والمقيمين فيها يا رب العالمين، اللهمّ قرّبه من كل خير، وقرّب الأختيار منه، وكن له معيناً، وأبعده عن كل شر، وأبعد الأشرار منه يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نعوذ بك من تقلّب نعمتك، وفُجاءة نقيمتك، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تُبدل أمننا خوفاً،
اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تُبدل أمننا خوفاً، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تُبدل أمننا خوفاً يا رب العالمين.

اللهمّ من أراد بالكويت وأميرها سوءاً اللهمّ فأشغله بنفسه، واجعل تدميره في تدميره يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.